أحداث الأردن

بقلم محمد النقاش

عندما أقال الملك حسين في العاشر من هذا الشهر (نيسان ١٩٥٧) وزارة السيد سليمان النابلسي ، وتلا ذلك أزمة خطيرة ، وجفت قلوب العرب ، لا سيما العرب المؤمنين بالحياد ، القائلين بالتحرر من كل قيد اجنبي .

ولا عجب ، فللاردن وضع حساس جدا . فهو اولا اكثر الدول العربيه تعرضا للخطر الاسرائيلي ، بفعل حدوده الطويلة مع الدولة الغاصبة ، ثم هو ارض الاتصال بين الدول العربية المتحررة : مصر وسوريا والسعودية . فاذا سقطت هذه الحلقة الكبيرة من السلسلة ، تضعضعت كتلة الحياد الايجابي بعض الشيء ، وافادت كتلة الحلف البغدادي والمشروع الايزنهاوري .

وكانت الانباء عن أزمة الاردن مثيرة للجزع حقا . ويبدو ان وكالات الانباء الاجنبية شاءت ان تستثمر الازمة اقصى استثمار ، فخلعت على حركة الملك ثوب ردة كاملة ، تنسف كل الجسور بين الاردن وبين السياسة الجديدة التي انتهجها منذ طرد الجنرال غلوب حتى العاشر من نيسان .

وساعد على تقوية هذا الشعور ، ان اذاعتي القاهرة ودمشق أعتصمتا بالتحفظ ، فلم تلعنا ولم تباركا .. وثبت فيما بعد ان هذا الموقف الرصين كان خير المواقف .

ففي الخامس عشر من الشهر ، اذيع نبأ تاليف الحكومة الجديدة ، فاطمأنت القلوب الواجفة ، وخاب امل الذين علقوا على الازمة انحرافا اردنيا خطيرا . وثبت من تصريحات الملك الشاب ، ومن مجيء النابلسي وزيرا للخارجية في الحكومة الطالعة ، ومن كتاب الرئيس الجديد الوطني المجاهد الدكتور حسين الخالدي الى الملك ، ثبت من هذا كله ان سياسة الاردن العربية والخارجية لن تتغير ، وان الاردن سيبقى عضوا امينا في اسرة الدول العربية المحايدة ، كما ثبت ان المعركة كانت داخلية صرفا ، معركة نفوذ .. من يحكم الاردن ؟ الملك أم حكومة النابلسي ؟ . وقد انتصر الملك في هذه الجولة الاولى .

اسباب الازمة

ولنحاول ان نستعرض الان ، على ضوء ما نملك من معلومات ، مراحل الازمة .

من المعلوم ان الموجة الشعبية الطاغية التي أطاحت بغلوب ، وحفرت الهوة بين عمان وحلف بغداد ، حملت الى البرلمان عناصر تقدمية منها المعتدل (الحزب الوطني الاشتراكي الذي يتزعمه سليمان النابلسي) ومنها المتطرف (الجبهة الوطنية او الشيوعيون وحزب البعث الاشتراكي) .

ومن المعلوم ان الملك الشاب ساير هذه الموجة ، بل بدا انه كان على راسها .

ولما تالفت أول وزارة منبثقة عن البرلمان الجديد ، اشتملت هذه الوزارة على سائر العناصر التقدمية ، اكثرية وطنية اشتراكية ، ووزير بعثي (عبد الله الريماوي) وآخر شيوعي (عبد القادر الصالح) .

وهكذا كان الانتصار الشعبي كاملا ، لم تشبه شائبة ، او يتسرب اليه وهن ، عند الوصول الى مقاليد القيادة . وسار الاردن خطى واسعة في سياسته التحررية ، فتحرر من المساعدة البريطانية (عن طريق اتفاق التضامن العربي المعقود في القاهرة) وتخلص من المعاهدة البريطانية ، ووقع مع مصر وسوريا والسعودية بلاغ الحياد الايجابي ، والامتناع عن خوض الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

ويبدو ان العناصر اليسارية شاءت ان تقطف ثمار النصر جميعا ، وان تنهب المراحل نهبا ، فالهبت ظهور خيلها بالسياط .. وكان ان ايقظت الملك الشاب فرقعة سياطها، وبدأت تتراءى له في الافق اشباح جمهورية.

وكان رد الفعل الاول عنده ، ذلك النداء الذي اذاعه بضرورة مكافحة الشيوعية ، لتعارضها مع مبادىء الاسلام وتقاليد العروبة . لكن الحكومة بدلا من ان تستجيب للنداء تركت الحزب الشيوعي يتظاهر علنا في شوارع عمان ، ومنحته رخصة جريدة ..

وبدأ الملك حسين ينشط من ناحيته ، فردت حكومة النابلسي باعداد مشروع لتعديل الدستور. ومن المعلوم ان الدستور الاردني كسائر الدساتير العربية ، يمنح رئيس الدولة ملكا كان او رئيس جمهورية ، سلطات واسعة ، في طليعتها حق اقالة الوزارة . وجاء حديث الاتحاد الفدرالي مع سوريا ومصر .. وهو حديث لا ينسجم كثيرا مع الملكية والعرش ، لا سيما وانه يدور في الاصل بين جمهوريتين ..

وهكذا . قرر الملك ان يعمل .. ولم يتردد في اقالة حكومة النابلسي متحديا كل القوى الشعبية والاوساط البرلمانية .. وربما بعض المقامات العسكرية ، لكنه في الوقت نفسه ـ وهنا دلل على انه اكبر من عمره في الحكمة وعلو الكعب في السياسة ـ لم يقطع الصلة بينه وبين اقطاب الاحزاب الاخرى .. حتى انه في فترة من الفترات كلف احد اركان الحزب الاشتراكي الوطني بتاليف الوزارة ..

ولسنا ندري ان كان صحيحا ما روجته بعض وكالات الانباء الاجنبية ، من ان انقلابا عسكريا كاد يقع وان الملك الشاب خنقه في المهد ، واثبت ان الجيش بأكثريته موال له .

المهم ان الملك سيطر على الموقف . لكنه لم يثمل بنشوة النصر في هذه الجولة الاولى ، وادرك بثاقب بصره ان الموجة التي سايرها منذ عام ، او كان على راسها لا يمكن قهرها ، حتى بحكم عسكري صرف . فالف الحكومة الجديدة من عناصر وطنية لا غبار عليها ، وجاء بالنابلسي نفسه وزيرا للخارجية ، مستبعدا فقط العناصر المتطرفة ، اي البعثيين والشيوعيين ، دون اي اشارة

جديدة الى مكافحة الشيوعية ...

مـــاذا بعد ؟

وفي اعتقادنا ان الملك وقد ربح الجولة الاولى ، وجاءت حكومتـــه الجديدة منسجمة مع اهـداف السياسة العربية المتحررة ، لن يطمئـن الى الغد كل الاطمئنان . فالعناصر اليسارية ، وان تركت الحكم ، فهي لا تزال في المعارضة . مع العلم بأن النابلسي الذي تعاون مع هذه العناصر تعاونا وثيقا ، باق في الحكم ، وفي منصب بارز .

ولعل في طليعة ما سيطرح على بساط البحث في الايام القليلـــة القادمة ، مشروع ايزنهور .. وربما تعديل الدستور . وأهم من هـذا وذاك ، هل سيترك للبعثيين والشيوعيـين حرية القول والعمـل ، أم ســيكافحون بأيزنهور ودون ايزنهور ؟

المهم ان المباديء الاساسية خرجت سليمة من المعركة ، وان لم يخرج بعض الاشخاص . ولا بد من مرور فترة هدوء يستجم فيها الاردن ،وتنتهي خلالها المشكلات الملحة التي تشغل العرب في هذه الفترة ، كمشكـلة السويس ومياه خليج العقبة . ولا شك ان حكمة الملك وحكمة وزرائـه ـ واكثرهم من المحنكين ـ وحكمة زعماء الاحزاب المتطرفة ، ستساعد عـلى مرور هذه الفترة بسلام .

تحية الى الملك

ولا يفوتنا ان نرسل بتحية الى الملك الشاب ، تحية اجلال واعجاب . فحسبه انه عمل على اقتلاع اشواكه بيديه وحدهما، وظل الوطني الخالص الوطنيـة . وحين يظل الصراع بين قوى الداخل على هذا الصعيـد القومي الصرف ، دون اي يد اجنبية ، ففيه البركة ، وفيه الخير .

مكافحـــة الشـــيوعية ...

تجتاح الاوساط الحاكمة في كثير من البلدان العربية اليوم ، فكـرة مكافحة الشيوعية . وتنشط الفكرة في رؤوس هذه الاوساط ، تحت عوامل متعددة . لكن لا شك في ان لموقف الاتحاد السوفياتي والكتلـة الشيوعية عامة ، موقفها من العالم العربي والاماني العربية في الآونـة الاخيرة ، علاقة ماسة بالموضوع .

فهذا الموقف الذي تجلى طيبا مؤازرا في حالات متتابعة : صفقـات الاسلحة ، تأييد مصر في قضية تأميم شركة السويس ، التهديد بالحرب في حال استمرار العدوان على مصر ، مواصلة تأييد العرب في قضيـة القناة وغزه والعقبة ، مناصبة اسرائيل العداء ـ نقول ان هذا الموقف الجديد المفاجيء الى حد ما وقفته الكتلة الشيوعية من اماني العـرب وقضاياهم ، احدث موجة جديدة من الكراهية للغرب ، وبالتالي موجة جديدة من الاستلطاف نحو موسكو .

ولما كان الحب يبدأ بنظرة فابتسامة .. فان الطبقات الحاكمـة التقليدية اوجست من الامر خيفة .. وساعدتها على ذلك دعاية غربيـة مركزة حاولت تضخيم التغلغل الشيوعي عبر الشرق العربي ، فهبت تنادي بضرورة مكافحة الشيوعية .

ولا يغيب عن ذهن احد ان الهبوب لمكافحة شيء من الاشياء ، هـو اعتراف تلقائي مسبق بقوته وخطر شانه ، كما ان المكافحة ، وهـي الكفاح ، تدعو الخصم الى حشد قواه واستنفار وسائله .. ولسنا ندري ان كان من المصلحة القومية العربية اعطاء الخطر الشيوعي كل هـذه الاهمية .. زد على ذلك ، ان الاستعانة بدولة اجنبية ، كاميركا ، مهما تحسن نيانها ، فهي بالفعل والواقع صديقة الصهيونية الاولى في العالم وحليفة دول غربية استعمارية لها في عالمنا العربي ماض وحاضر غـير مشكور على الغالب .. نقول ان الاستعانة بهذه الدولة على مكافحـة الخطر الشيوعي ، قد تحدث نكسة ورد فعل ليست في مصلحة المكافحة.

نحن من جهتنا لا نرى الخطر الشيوعي داهما ولا شبه داهم على بلادنا .. لأسباب عديدة لا نود التبسط فيها الان . ولا نعتقد بانتصار قريب لها عندنا ، الا في حالة حرب ينتصر فيها الروس .. ومساهمتنا في مثل هذه الحرب ، مع هذا الجانب او ذاك ، لن تكون بعيـدة الاثـر ، كمـا نرجح ، ولا حاسمة في أي حال . لهذا لا نرى ضرورة الى احـلال الخطر الشيوعي هذا المحل الطاغي .. بل نعتبر ذلك بمثابة الهاء وتحويل عن الخطر القائم الداهم ، عنينا الخطر الصهيوني .

ونحن نعتقد ان هذا الخطر الصهيوني ، ومما يلابسه احيانا من مطامع غربية ، هو الداعية الوحيد للشيوعية في العالم العربي . فلا الجهـل ولا الفقر ولا المرض الخ.. تروج للشيوعية بجزء من مائة ، قياسا الى ما تروجه النقمة على الصهيونية والغرب . فمعالجة هذه النقمة التي لا تعشش وتفرخ في اوساط الجهلة والفقراء والمرضى .. بل في اوسـاط المستنيرين وحتى الميسورين ، هي الاساس لمكافحة الشيوعية . معالجة هذه النقمة عند اناس لهم أثرهم البعيد في قيادة الرأي ، والحـؤول بينهم وبين الارتماء في سياســة اليأس ، هي المعالجة الايجابية الناجعة .

ومعالجة هذه النقمة لا تكون عن طريق الرشوة ، وانما عن طريق حلول جذرية تقمع اسباب النقمة من الصدور المخلصة ، أي الصدور الوحيدة القادرة على قيادة الناس ، ودفعهم الى اقصى المغامرات .

لو ان الشيوعية تنتشر في بلاد الفقر ، لحق لها ان تنتشر في الهند ، حيث هي شرعية ، لا تكافح بالضغط والاكراه ، وانما تكافح بأساليب ايجابية ، تجعل عامة الهنود يطمئنون الى غدهم .

ان البحبوحة ـ والف مساعدة اميركية لا تكفي لنشر بحبوحة حقيقية في البلدان العربية ، وفي مستقبل قريب ـ قد تخدر بعض الناس بعض الوقت ، ولكنها لن تخدر الجميع كل الوقت ..

من البديهي ان اصلاحا داخليا في نظم الحكم ، يساعد كثيرا عـلى مكافحة الشيوعية .. لكن هذا الاصلاح ينفع في ظروف عادية ، اكثر مما ينفع في ظروف العالم العربي اليوم . ظروف العالم العربي تأتمر اول ما تأتمر بالخطر الصهيوني وخطر الاستعمار ، ان يبقى حيث هو ، او ان يعود حيث كان . والاصلاح الداخلي منشود ومرحب به ، لانه في الدرجة الاولى ـ يساعد على درء هذين الخطرين . اما الخطر الشيوعي الذي تحسه اميركا علينا اكثر مما نحسه على انفسنا ، فلن يجد فـي مجتمعنا ، حين نأمن شر الصهيونية والاستعمار ، ارضا اخصب من التي يجدها في اميركا او بريطانيا نفسيهما ...

في المكتبات

الغرفة الصينية

القصة التي أثـارت المجتمع البريطانـي
بصراحتها في معالجة السعادة الزوجية والحياة العائلية

منشورات المؤسسة الاهلية ـ بيروت

التدخل في شؤون العرب الآخرين ...

في بلاغين مشتركين عربيين او اكثر ، صدرا في الآونة الاخيرة ، اشارة الى امر قومي خطير ، هو امتناع اية دولة عربية عن التدخل في شؤون دولة عربية اخرى ، شؤونها الداخلية ..

والعجيب ان يصدر مثل هذا التصريح عن دول تدين بالقومية العربية، وتقول بالوحدة العربية ... فدعوة كهذه هي دعوة شعوبية اقليمية هدفها تجميد الاوضاع الراهنة ، ولا يمكن ان تفسر الا على اساس اعتبار الدول العربية ، اجنبيا بعضها عن بعض . والحال ليست كذلك في نظر القوميين العرب ..

فنحن القوميين العرب نعتبر الاوضاع الراهنة والحدود الحاضرة ، اوضاعا مصطنعة وحدودا مزورة .. تضافرت عدة عوامل على اقامتها ، منها ما هو اجنبي استعماري ، ومنها ما هو داخلي رجعي . وما دمنا نعتبر انفسنا مواطنين عربا في الدرجة الاولى ، سواء أكنا في الحكم أم خارج الحكم ، فمن قبيل الطعن فيوطنيتنا والتجديف على عقيدتنا ، ان نطالب بعدم التدخل في شؤون قطر عربي لا نعيش فوق ارضه ، لان عدم التدخل يعني عدم الاهتمام واللامبالاة بمصيرنا كأمة . ولو سلك كل منا هذه الطريق ، لما كان لها الا نتيجة واحدة : تنشيط العناصر الاقليمية وترك الميدان لها وحدها ، وبالتالي تفكيك العرى الوثيقة التي تجمع العرب حيثما كانوا .

ومتى عرفنا كم تتشابك مصائر الدول اليوم ، الدول الاجنبية بعضها مع بعض ، بحيث يؤثر ما يجري في أقصى الارض على من في ادنى الارض ادركنا تفاهة الرأي القائل بالامتناع عن التدخل في الشؤون الخاصة بين دولة عربية واخرى .

صدر كتاب :

هارون الرشيد

دراسة تاريخية اجتماعية سياسية

للدكتور عبد الجبار الجومرد

مجلد ضخم يقع في جزأين يتناول سيرة هارون الرشيد ، فيزيل مع علق بها من افتراءات وشوائب الصقتها بها الشعوبيات التي كانت تكيد للقومية العربية في شخصه ، ويبرز حياته جلية واضحة مدعمة بالبراهين والادلة التاريخية ...

الثمن ١٠ ل.ل.س.

توزيع

المكتب التجاري ـ بيروت

وليس يكفي ان نتحسس ما يجري في عالمنا العربي ، وان نسايره بالعاطفة ، بل علينا ان ننشط ، ان ننتقل من حيز الشعور الى حيز الفعل ، فنسهم في انهاض كل بلد ، وفي توجيهه وفي دفعه نحو الهدف الاكبر الذي هو الوحدة .

على اننا ، ونحن نؤدي هذا الواجب القومي ، لا نستسيغ الا الاساليب المشروعة ، والاساليب النظيفة ، فالغاية في نظرنا لا تبرر الواسطة ، والاساليب المشروعة والنظيفة تعني عندنا الاتصال الشخصي والتبشير او الترويج بالقول والكتابة، اي اننا ننهج طريق الاقناع والارشاد، لا طريق القوة العنف ، ولا طريق الدس والمخاتلة .

ولا فرق عندنا بين شؤون داخلية وشؤون خارجية . فكل ما يجري في دولة عربية ، يهمنا تماما كالذي يجري في الدولة التي نحمل جوازها .. موقتا . ذلك انه ما من احد يستطيع اليوم التفريق بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية ، لتداخل احداهما بالاخرى تداخلا يصعب تبينه أو تبيانه . وعلى هذا الاساس ، فان ما يجري في اقصى بلدية مصرية او عراقية يهمني ويحركني كالذي يجري في بلدية بيروت .. ولن اتردد لحظة ، حين املك الوسائل ، للمساهمة في تشجيعه وتعزيزه ان كان على حق وللخير ، او تغييره وابطاله ان كان على خطأ وللشر .

ومن حسن الحظ ، ان بعثنا القومي تواكبه وسائل اتصال وتواصل كثيرة وناجعة . فالراديو والصحيفة والكتاب ووسائل النقل السريعة ، كلها ادوات صالحة في ايدينا تيسر لنا مهمة الاهتمام بما يجري عند الاشقاء ، والتدخل فيه تدخلا فعالا عند الاقتضاء .

هذه عقيدتنا ، وهذه خطتنا. وان لم ترق بعض الحاكمين ، ممن يحبون الاستئثار والاحتكار ، فذلك شأنهم ، والعاقبة لنا ..

السعودية ومشروع ايزنهور ..

هل قبلت المملكة العربية السعودية مشروع ايزنهور ؟

من يتأمل البلاغ السعودي ـ الاميركي الصادر اثر زيارة المستر ريتشردز مبعوث ايزنهور الخاص الى الشرق الاوسط لشرح مشروعه لا يجد اشارة صريحة الى ذلك . كما ان هذا البلاغ يختلف في نصه وروحه عن البلاغ اللبناني ـ الاميركي حول الموضوع نفسه .

فالسعودية توافق على تعاون الدولتين في مكافحة الشيوعية ، لكنها تضيف الى ذلك ، مكافحة سائر الحركات الاستعمارية ، و « كل خطر يتهدد السعودية من المنطقة نفسها » وفي هذا المامة الى الخطر الصهيوني.

ثم ان البلاغ ينص على مقاومة العدوان من حيثما اتى . فلا يقتصر على وصم الشيوعية وحدها بطابع العدوان .

والبلاغ بعد هذا تأكيد للبلاغ السعودي ـ الاميركي الذي صدر في واشنطن اثناء زيارة الملك سعود اميركا .

ان السعودية تقبل المساعدات الاميركية الاقتصادية والعسكرية ، وقد تأتي هذه المساعدات من صندوق المشروع الايزنهوري .. لكن هذا ما تحب ان تتجاهله المملكة السعودية .

ولا ننسى ان السعودية جددت ايجار قاعدة الظهران الجوية للاميركان خمس سنوات اخرى .. لكن .. ليس لهذا علاقة بمشروع ايزنهور .. ولو انه يذهب الى ابعد مما قد يذهب اليه مشروع ايزنهور !

يجب الاعتراف بأن لحكومة الرياض قدما راسخة في الفن الديبلوماسي .. وكثيرا من الفطنة والرهافة !

محمد النقاش